الفصل الأول

«إسرائيل الكبرى» والجولة السابعة

إسرائيل الكبرى والجولة السابعة

يحرص اليهود على أن تظل كلمة (إسرائيل الكبرى) تعبيراً غامضاً، إلاأن تتبع مصادرهم العقدية ومخططاتهم السياسية سرعان ما يكشف ذلك الغموض، و (إسرائيل الكبرى) على أية حال، ليست هي بيت المقدس فقط، ولا أرض الشام فحسب. إنها أكبر من ذلك، فهم ينسبون إلى التوراة المنزلة على موسى ـ عليه السلام ـ هذا النص الموجه إلى إبراهيم ـ عليه السلام ـ، عندما قرر اعتزال أبيه وقومه «إذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك»[١]، أما حدود هذه الأرض فتدل عليه نصوص أخرى: «وظهر الرب لأبرام[٢]، وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض، فبنى هناك مذبحاً للرب»[٣] «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً قائلاً، لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[٤].

إنه لا إشكال ـ وفق مفاهيمنا الإسلامية ـ أن يعطي الإله وعداً بالتمكين لعباده الصالحين، فهذه سنة إلهية ماضية ﴿**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ**﴾ [**الأنبياء**: ١٠٥]، ولا إشكال أيضاً في أن يكون الصالحون من بني إسرائيل محلاً لهذا الوعد أيام كانوا مفضلين على العالمين. أما الإشكال الكبير، فهو أن تحرف تلك النصوص لتظل مربوطة باليهود ارتباطاً أبدياً سواء

(١) سفر التكوين، الإصحاح ١٢/ ١/ ـ ٣.
(٢) (إبرام) هو إبراهيم، وهذه تسميته في التوراة قبل أن يهاجر.
(٣) سفر التكوين، الإصحاح، ١٢/ (٥ ـ ٧).
(٤) سفر التكوين، الإصحاح ١٥ (١٨ ـ ٢١).

استقاموا أم اعوجوا، فكيف تسند الإمامة في الدين إلىٰ قوم قد أُخرجوا من الاصطفاء والاختيار إلىٰ اللعنة والغضب!؟

هذا في الحقيقة هو أس القضية ولُب المشكلة التي لن يفهمها ولن يستطيع التعامل معها إلا من فقه السنن الإلهية، والثوابت الدينية التي تنزلت في كتب السماء، أما الاقتصار في الكلام علىٰ الحقوق التاريخية، والأسبقية المعيشية، أو الهجرات القديمة والحديثة، فهذا شأن من لم يفهم ولا يريد أن يفهم.

إن الخطاب العلماني العربي طوال سنىٰ الصراع العربي الإسرائيلي، ظل يردد أطروحة ممجوجة تقول إن العرب اليبوسيين هم أول من سكن (أورشليم) أو أورسالم قبل مجئ بني إسرائيل إليها، ولهذا فهم أصحاب الحق التاريخي فيها! وهذا منطق يمكّن لليهود أنفسهم الآن أن يدّعوا أحقيتهم بمصر التي عاشوا فيها قبل الفتح العربي الإسلامي، ويمكن للنصارىٰ الأقباط من باب أولىٰ أن يدعوا هذا الحق التاريخي فيها كلها، ويمكن للطوائف والأقليات العرقية القديمة في كل موطن أن يدَّعوا حقاً تاريخياً في كل أرض سبقوا إليها.

إن الحقيقة التي ندين بها: أن الحق في وراثة الأرض المقدسة، بل في الأرض كلها يرجع إلىٰ الثبات علىٰ الدين، والدخول في ركب المؤمنين كما قال ـ سبحانه ـ: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ** ﴾ [النور: ٥٥]، ﴿ **إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ** ﴾ [**الأعراف**: ١٢٨]. ﴿ **أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ [**الأنبياء**: ١٠٥]. لذلك فإن بني إسرائيل لما سكنوا تلك الأرض ـ قبل اللعنة والطرد ـ كانوا أحق بها من الوثنيين العرب، ثم لما تجرد اليهود عن وصف الصلاح، ودخل العرب في الدين الحق، ورَّثهم الله أرض المقدسات ليحموها ويعبدوا الله فيها، ولكن

اليهود المغضوب عليهم، قد حجروا وصف الصلاح في أنفسهم، فهم بزعمهم الجنس الصالح والشعب المختار والأمة المقدسة على الدوام، وهم ـ وفق ذلك ـ يربطون الأرض المقدسة بالشعب (المقدس)، ولذلك فإنهم يسمون الأرض الموعودة (أرض الرب) كما ورد في سفر يوشع (٩/ ٣) ويسمونها الأرض المختارة، فكما أنهم هم الشعب المختار فإن أرض إسرائيل هي الأرض المختارة التي اختارها الرب لسكناه ـ تعالى عما يصفون ـ ، ويزعمون أنه آثر بها اليهود واكتفى لنفسه بـ (أورشليم) التي يعتقدون أن الرب يسكنها. جاء في إصحاح زكريا (٢/ ١٠ ـ ١٢) «ترنمي وافرحي يا بنت صهيون، لأني ها أنذا آتي وأسكن في وسطك والرب يرث يهوذا نصيبه من الأرض المقدسة ويختار لنفسه أورشيلم»!

وادعاؤهم بأن الرب يسكن في (أورشليم) ليس على ظاهره بداهة، ولكنهم بذلك يعبرون عن مدى تشبثهم بأقدس ما لديهم في أرض (إسرائيل الكبرى) وهي القدس التي يساوي التفريط فيها التفريط في (مسكن الرب)!!

إننا في حاجة إلى معرفة الخلفيات العقدية التي تربط اليهود بالأرض الإسلامية في فلسطين وسوريا والأردن والعراق ومصر والحجاز، وفي حاجة إلى الاطلاع على نواياهم المستقبلية تجاهها، وتجاه مشروعهم الديني التوراتي (إسرائيل الكبرى) خاصة وأنهم ـ وبالتعاون مع النصارى ـ قد قطعوا فيه شوطاً قياسياً على مدى نصف قرن فقط.

صحيح أن الأرض تستمد قيمتها من المنهج القائم عليها، ولكن الصحيح أيضاً أن الأراضي التي ارتبطت بالاختيار والاصطفاء الإلهي، لها خصوصيتها في كل الأحوال، فحتى لو تدنست بالكفر أو الشرك، لوجب على الصالحين

تطهيرها، وهذه كانت قصة الجهاد الإسلامي في القرون المفضلة، فما يسميه اليهود (إسرائيل الكبرىٰ) اليوم إنما كان أرض الأمجاد الإسلامية في عصور التمكين.

ومما تجدر الإشارة إليه؛ أن استعمال كلمة (إسرائيل) مرادفاً للدولة عند اليهود يختلف عن استعمال كلمة (إسرائيل) مرادفاً للأرض، فـ(إسرائيل) الدولة هي ما يدخل تحت الحدود التي وصلوا إليها حتىٰ الآن، أما (إسرائيل) الأرض، فهي تنطبق علىٰ كل ما سمي في كتبهم المقدسة (أرض إسرائيل)، فعندما يتحدث الساسة أو الحاخامات عن (أرض إسرائيل)؛ فلا ينبغي أن نفهم ذلك علىٰ أن المقصود به فقط دولة (إسرائيل) القائمة الآن علىٰ أرض فلسطين، فإن هذا قد يراد أحياناً وقد يراد في أحيان أكثر أرض (إسرائيل) بمعناها التوراتي من النيل إلىٰ الفرات.

فكل يهودي يؤمن بالتوراة والتلمود ويقدسهما، يؤمن في الوقت نفسه بحديثهما عن (أرض إسرائيل).

وحديث التوراة عن (إسرائيل) ينصرف في الغالب إلىٰ (الأرض الموعودة) بحدودها الواسعة، واليهود يفهمون ذلك علىٰ أن تلك الأراضي ملك لهم، سواء سكنوها أم لم يسكنوها، وسواء استطاعوا السيطرة عليها أو لم يستطيعوا، ولذلك فلا غرو أن يبذلوا كل مسعىٰ لتنكيد حياة من يعيش عليها من غيرهم، إذا لم يستطيعوا هم البقاء فيها، فاليهود مثلاً عندما انسحبوا من سيناء عام ١٩٨٢م لقاء ثمن باهظ وهو خروج مصر من دائرة الصراع، أصروا علىٰ تجريدها من السلاح، ودمروا كل المرافق التي كانت لهم فيها قبل أن يخرجوا، واشترطوا علىٰ مصر ألا تبيع بترول سيناء إلا لهم، ووضعوها تحت التهديد الدائم من ثلثي جيشهم.

إن المنزلة الدينية للأرض عند اليهود تكاد أن تصل إلى مستوى الفرائض والأركان، والتلمود الذي يفسرون به التوراة يقول: «واجب على كل يهودي أن يعيش في أرض إسرائيل، وهذا الواجب يعلو على أي التزام آخر» «أرض إسرائيل طاهرة، لا بد من دفن المتقين من بني إسرائيل فيها، وإن لم يتسير ذلك يوضع مع الكفن شيء من التراب المجلوب منها». «الذي يتمشى أربعة أذرع في أرض إسرائيل على يقين أنه من أبناء الآخرة»[١].

فأعمال (الآخرة) لا يمكن ـ وفق التلمود ـ أن يقوم بها اليهود على الوجه المطلوب إلا في الأرض الموعودة، لا بل إن السكنى في أرض الميعاد تقوم مقام أعمال الآخرة، جاء في سفر أشعياء (٣٣/ ٢٤): (الشعب الساكن فيها مغفور الإثم)! ويعبر أول رئيس وزراء لدولة اليهود عن هذا المعنى من زاوية أخرى فيقول: «من يعيش داخل أرض (إسرائيل)، يمكن اعتباره مؤمناً، أما المقيم خارجها فهو إنسان لا إله له»!

إذن، فالأرض عندهم هي الحياة الدنيا وهي عمل الآخرة، هي أرض الرب، هي مغفرة الذنب! فهكذا حوَّل التحريف ديانة موسى ـ عليه السلام ـ الإلهية السماوية إلى ديانة أرضية طينية!

والنصوص القديمة، وتفسيراتها القديمة والمعاصرة تكشف بوضوح عن حدود تلك الأرض الموعودة، يقول الدكتور بوست: «الأرض الموعود بها إبراهيم الموصوفة في كتاب موسى ـ عليهما السلام ـ تمتد من جبل هور إلى مدخل حماة، ومن نهر مصر العريش إلى النهر الكبير نهر الفرات، وأكثر هذه الأراضي كانت تحت سلطة سليمان ـ عليه السلام ـ فكان التخم الشمالي حينئذ سورية،

(١) التلمود، تاريخه وتعاليمه، تأليف (ظفر الدين خان)، ص ٦٦، ٧٢، ٨٤.

والشرقي الفرات وبريّة سورية، والجنوبي برّية التيه وأدوم في سيناء، والغربي البحر المتوسط»[١].

هذا من ناحية التنظير الاعتقادي والفكري، أما من حيث التنظيم العملي والحركي، فقد تلقّف رواد الحركة الصهيونية الحديثة هذه المفاهيم، وكان على رأسهم الصحفي النمسوي، (تيودور هرتزل) الذي نذر نفسه لتحويلها من أحلام وآمال، إلى حقائق وأعمال.

وقد كان تصوره للأرض التي ينبغي تهيئتها لإقامة الدولة بحدودها المستقبلية واضحاً منذ اليوم الأول لسعيه في تأسيسها، فهو يفترض أن الانطلاق سوف يكون من أي أرض يمكن الحصول عليها في فلسطين لتكون قاعدة يبدأ التوسع منها على مراحل في الزمن المتتابع، حتى يكتمل المشروع، قال في مذكراته: «إن القاعدة يجب أن تكون في فلسطين أو بالقرب منها. . إن علينا تشييد البنيان على أساس قوميتنا اليهودية، ولذلك لا بد من حصولنا على وسائل للجذب السياسي. . . إنني لا أستطيع الإفصاح أكثر من هذا»[٢].

فالقاعدة والمنطلق إذن أرض فلسطين أو (إسرائيل الصغرى) ولكن هل هذا منتهى الأحلام قبل مئة عام؟! لا؛ فإن المساحة التي لن يرضى اليهود بأقل منها هي المساحة المعروفة عندهم بـ(مملكة داود وسليمان)! قال هرتزل: «إن الشعار الذي يجب أن نرفعه هو فلسطين داود وسليمان»[٣].

إنها ليست فلسطين التي نعرفها بحدوها المعاصرة، إنها أرض الشام كلها وما حولها من أراضٍ في الشرق والغرب، في العراق ومصر.

---

(١) قاموس الكتاب المقدس، تأليف د. بوست.
(٢) يوميات هرتزل، ١٤٧٣.
(٣) المصدر نفسه.

يقول هرتزل في مذكراته: «المساحة... من نهر مصر إلى نهر الفرات، نريد فترة انتقالية في ظل مؤسساتنا الخاصة، وحاكماً يهودياً خلال هذه الفترة، بعد ذلك تنشأ علاقة كالتي تقوم الآن بين مصر والسلطان، وما أن يصبح السكان اليهود في منطقة ما، ثلثي مجموع سكانها حتى تصبح الإدارة اليهودية سارية المفعول على الصعيد السياسي»(١).

أقول: لا بد لنا من استرجاع المعاني العملية لتلك الكلمات التي قيلت قبل قرن كامل في ضوء ما طرأ وما يطرأ من أوضاع وترتيبات في المنطقة.. ماذا حدث في منطقتنا بعد قرن من هذه الكلمات التي سُطِّرت في وقت لم يكن لليهود أي سطوة أو سلطة على أية رقعة من فلسطين وما حولها!

هذه الأحلام التي كان يحلم بها شاب في آخر الثلاثينيات من عمره منذ مئة عام... من المسؤول عن تحقيقها أو تحقيق الكثير منها؟.. لا بد أن نعترف أنه خلَّف وراءه أجهزة فعالة، تحوِّل الأحلام إلى حقائق.

فأين العرب طيلة هذه المدة؟ بل أين كان المسلمون؟

لقد قامت الدولة بعد خمسين عاماً من تخطيط هرتزل وفي الموعد الذي حدده وذكره في مذكراته (ص٥٨١).

وبعد أن قامت بالفعل، بدا لليهود أن هناك من يريد مساومتهم على حدود تلك الدولة في المستقبل، حيث تشكلت في الأمم المتحدة عام ١٩٤٧م لجنة تحقيق دولية بشأن تلك القضية، فتقدم عضو الوكالة اليهودية: الحاخام (فيشمان)

---

(١) المصدر نفسه.

بخريطة توضح حدود الدولة اليهودية التي يرىٰ اليهود أن لهم الحق الكامل في استردادها تنفيذاً لوعود التوراة ومشاريع هرتزل، ووقف فيشمان ليعرض حدود تلك الدولة التي تبدأ كما قال: « . . . من مدينة الإسكندرية، محيطة بمنطقة الدلتا غرباً في مصر، ثم تمتد جنوباً مع مجرىٰ نهر النيل، لتتجه شرقاً في خط مستقيم، قاطعة الجزيرة العربية، حتىٰ محاذاة مصب نهر الفرات، ثم تصعد الحدود مع مجرىٰ الفرات، حتىٰ حدود تركيا لتتصل إلىٰ سورية، لتقفل الدائرة بعد ذلك بالحدود الشرقية للبحر الأبيض المتوسط»!!

والآن . . . وبعد خمسين عاماً أخرىٰ من عرض «فيشمان» هل انتهىٰ الحُلم؟ هل هذه مجرد أوهام وأحلام تسبح في الخيال كما يحلو لبعضنا أن يردد؟

أقول: لا، أبداً، لم ينته حلم اليهود في «إسرائيل الكبرىٰ» ومَنْ شكَّ في هذا، فليسأل العَلَمَ الإسرائيلي ذي الخطين الأزرقين اللذين يرمزان إلىٰ نهري النيل والفرات! وليسأل النجمة السداسية المدَّعاة بـ «نجمة داود» التي ترمز إلىٰ مملكة داود، والتي يتطابق مثلثاها للدلالة علىٰ تعاضد السلطة الدينية مع السلطة المدنية كما كان شأن الدولة في عهد مُلك داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ، وليسأل اللافتة المنصوبة علىٰ مدخل الكنيست الإسرائيلي متضمنة الوعد المذكور في التوراة، وليسأل بعد ذلك تلك العملة المعدنية الإسرائيلية التي يتعامل بها اليهود منذ أواخر العقد الماضي صغاراً وكباراً نساءً ورجالاً وأطفالاً، لتذكرهم كل يوم . . بل كل لحظة وهم يتعاملون بها، بالحلم الباقي . . والذي لم يكتمل وهو: (إسرائيل الكبرىٰ) حيث رسمت علىٰ العملة خريطة لتلك الأرض بحدودها من النيل إلىٰ الفرات.

فهل انتهىٰ الحلم . . ؟!

إسرائيل الكبرى بين مفهومين:

هناك اتفاق بين الساسة المتنفذين في الدولة العبرية على أن العمل لاستكمال (مشروع إسرائيل الكبرىٰ) هدف كبير واعد، ولكنه بعيد آجل، ولا بد من الوصول إليه عبر مراحل في الزمان والمكان.

غير أن هناك مفهومين سائدين ومختلفين في الوسيلة التي يمكن من خلالها الوصول إلىٰ تنفيذ هذا الهدف، وأحد هذين المفهومين يتبناه الصقور وتمثلهم (كتلة الليكود) التي تضم بعض الأحزاب اليمينية والدينية، والآخر يتبناه (الحمائم) ويمثلهم (حزب العمل) الذي يضم يساريين وليبراليين. وبأدنىٰ قدر من الفهم يستطيع المراقب لسياسات الاتجاهين أن يدرك أنهما يتبادلان الأدوار علىٰ حسب ما تقتضيه المرحلة في كل ظرف. لكن الحزبين في النهاية يعملان لأهداف مشتركة وإن اختلفت الوسائل.

أما المفهوم الأول: وهو الذي تتبناه كتلة الليكود في عملها لصالح ذلك المشروع بشكل علني، فيعتمد علىٰ المفهوم (الهرتزلي) في ذلك؛ حيث قال هرتزل للمستشار الألماني (هوهنكر) حين سأله عن الأرض التي يريد: «سنطلب ما نحتاجه، وتزداد المساحة المطلوبة مع ازدياد السكان»(١) وهذا يعني أن باب التوسع مفتوح دائماً. . . وقد سار بن جوريون ـ أول رئيس وزراء لدولة اليهود ـ علىٰ الخط نفسه، وعبر عن ذلك بقوله: (حدودنا حيث يصل جنودنا)(٢).

فالقوة وسياسة الأمر الواقع هي السبيل الأوحد للوصول إلىٰ الهدف. . في نظر بن جوريون! وقد كان هذا الرجل يشخص ببصره نحو (إسرائيل الكبرىٰ). .

---

(١) مذكرات هرتزل (٢/ ٧٠٢).

(٢) حياة بن جوريون، ص ٣٢٧.

في مبدأ إنشاء الدولة على أرض محدودة عام ١٩٤٨م يقول: «إن الصهيونية حققت هدفها في الرابع عشر من مايو ١٩٤٨م ببناء دولة يهودية أكبر مما كان متفقاً عليه في مشروعات التقسيم بفضل قوات (الهاجاناه). وليست هذه نهاية كفاحنا، بل إننا اليوم قد بدأنا، وعلينا أن نمضي لتحقيق قيام الدولة التي جاهدنا في سبيلها من النيل إلى الفرات»![1].

وسار على الدرب نفسه (ليفي إشكول) فخاض حرب عام ١٩٦٧م لقضم أكبر قطعة من أرض (إسرائيل الكبرى) وقد بدأ يكشف حديثه علناً عن هذا المشروع منذ شهر أكتوبر عام ١٩٦٧م، ويشاركه فيه دايان وآلون وكبار الحاخامين وزعماء الأحزاب.

والمرأة التي كانت تفخر بأن يقال لها: «أنت أقوى رجل في إسرائيل» (جولدا مائير) ـ رئيسة الوزراء السابقة ـ كانت تؤمن بالأسلوب نفسه فيما يتعلق بالعمل لصالح (إسرائيل الكبرى) وقد قالت في خطاب لها: «إن إسرائيل يجب أن تكون دولة وقوة عظمى في الشرق الأوسط، لها حق التصرف كما تريد)[2] وجاء بعدها مناحم بيجن فكان صريحاً فصيحاً في التعبير عن النوايا اليهودية تجاه أرض إسرائيل (الكاملة). يقول بيجن في كتابه (الثورة): «منذ أيام التوراة، وأرض إسرائيل تعتبر أرض الأم لأنبياء إسرائيل، وقد سُميت هذه الأرض فيما بعد (فلسطين)، وكانت تشمل دوماً ضفتي نهر الأردن ولبنان الجنوبي وجنوبي غرب سورية.. إن تقسيم الوطن عملية غير مشروعة، وإن تواقيع الأفراد والمؤسسات على اتفاقية التقسيم باطلة من أساسها، وسوف تعود أرض إسرائيل إلى شعب

(١) المصدر السابق.
(٢) صحيفة معاريف الإسرائيلية (٢٩/ ١٠/ ١٩٧٢م).

إسرائيل بتمامها إلى الأبد»(١) وقد أشار محمد كامل ـ وزير الخارجية المصري الأسبق في كتابه: (السلام الضائع في كامب ديفيد) إلى أن برنامج حزب (حيروت) ـ ضمن كتلة الليكود، بزعامة بيجن كان يقوم على أساس السعي لإقامة إسرائيل الكبرى(٢).

أما شامير، زعيم الليكود بعد بيجن، فكان أصرح وأفصح الزعماء في الإعلان عن قيمة مشروع (إسرائيل الكبرى) في الفكر والوجدان اليهودي،

قال ذات مرة وهو يخاطب جمعاً من المهاجرين: «إن (إسرائيل الكبرى) هي عقيدتي وحلمي شخصياً، وبدون هذا الكيان لن تكتمل الهجرة، ولا الصعود إلى أرض الميعاد»(٣). وقد فاز في الانتخابات الإسرائيلية لمنصب رئاسة الوزراء بسبب برنامجه الهادف للعمل من أجل إسرائيل الكبرى.

وقد انتخب بنيامين نتنياهو عام ١٩٩٦م تأييداً لبرنامجه الانتخابي القائم على عدم التنازل عن شبر من أرض (إسرائيل) المستعادة! وكانت وعوده الانتخابية قائمة على عدم التنازل عن السيطرة والسيادة، لا في جنوب لبنان ولا في الضفة ولا القطاع ولا في الجولان، وقد اختار للتحالف الذي كان يقوده بين الأحزاب اليمينية اسم: (أرض إسرائيل).

وإذا كان هذا شأن كتلة الليكود التي تتظاهر بالعلمانية، فإن القوى الدينية الأخرى ترى أن التفريط في شبر من أرض (إسرائيل) بمثابة خيانة يستحق صاحبها القتل، ولقد كان السبب المعلن لاغتيال (إسحاق رابين) رئيس الوزراء الأسبق ـ

(١) (الثورة) لمناحيم بيجن ص ٣٢٥.
(٢) (السلام الضائع في كامب ديفيد) لمحمد كامل ص٢٧.
(٣) جريدة الحياة، عدد (١٠٤٧٥).

كما قال قاتله (عامير): «إنه خان أرض التوراة»![1].

وأما المفهوم الثاني: فيرتكز على فهم خاص لدى بعض ساسة اليهود، مؤداه أن الشعب اليهودي لن يستطيع أن يسيطر على ما حوله من الشعوب إلا بالدهاء والحيلة والقوة بأشكالها المختلفة، بحيث تعوض هذه القوة الكيفية، الضعف الكمي عندهم، وفي هذا يقول بن جوريون مخاطباً الشعب اليهودي: «لقد ذكر أنبياؤنا منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة أنكم أقل الشعوب جميعاً، ولذلك يجب على شعب إسرائيل أن يكون شعب قدرات وتفوق، بحيث يستطيع أن يقف أمام شعوب أكبر منه»[2].

وحزب العمل كان ولا يزال يتبنى هذا المفهوم، ولعل من أبرز المتحمسين لهذا المسلك، حمامة السلام المفترسة (شمعون بيريز) تلك الشخصية الأفعى، التي تصدت دائماً لمشروعات امتصاص دماء الشعوب المحيطة وابتزازها. إما بالترغيب عن طريق مشروعات السلام الوهمي، أو بالترهيب عن طريق الترسانة النووية التي يُعد مهندسها وأبوها الروحي.

مفهوم شمعون بيريز لمشروع إسرائيل الكبرى

لقد كان شمعون بيريز ينادي دائماً بـ (إسرائيل العظمى) أولاً، قبل إسرائيل الكبرى، بمعنى أن تستكمل الدولة اليهودية أسباب القوة لتصبح قوة عظمى، ثم تستكمل بعد ذلك المساحة لتكون أرضاً كبرى.

وهو يرى ضرورة السير على محورين للتوصل إلى تلك الغاية، أولهما:

---

(١) وقد قال (روجيه جارودي) في كتاب الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل «إن قتل رابين كان وراءه تهديد حلم إسرائيل الكبرى»، ص ٤٣.

(٢) أخطر من النكسة ص١٠٢.

السعي لزيادة قوة الدولة اليهودية دون أدنى خضوع لعقبات أو عراقيل تفرضها الأوضاع العالمية أو الأعراف الدولية.

والثاني: **العمل على توهين وإضعاف قوة البلاد العربية المجاورة** بكل وسيلة ممكنة، واستغلال أسباب قوتها ومصادر مواردها لغير صالح شعوبها.

وقد برهن عملياً علىٰ هذين المسلكين؛ فهو في نظر اليهود (بطل) القوة النووية الإسرائيلية وراعي مسيرتها منذ البداية حتىٰ النهاية. وهو من جهة أخرىٰ عرّاب عمليات السلام مع العرب في مرحلة ما بعد كامب ديفيد، وقد كان واسطة الوصول للمأمول عبر (القنوات السرية) في أوسلو الأولىٰ والثانية ووادي عربة.

وعندما أعلن عن خططه لعمليات السلام في عام ١٩٩١م برز حرصه - كأي زعيم صهيوني - علىٰ قضية أمن اليهود وتحصينهم ضد الأخطار العسكرية وكذلك التحديات الاقتصادية التي ليست بأقل في نظره من الأخطار العسكرية.

أما الأخطار العسكرية فقد كفاهم إياها بمنجزاته النووية، وأما التحديات الاقتصادية، فقد اختار لمواجهتها طروحاته الشرق أوسطية؛ حيث دعا إلىٰ مشروع يهدف إلىٰ جعل الدولة العبرية جزءاً من نسيج المنطقة المحيطة بها، بحيث تتمدد في جسدها سرطانياً لتقتلها ببطء وترث تركتها بأمان!

اعتبر (شمعون بيريز) أن مشروع (الشرق أوسطية) يمكن أن يقوم علىٰ تكامل الطاقات: المياه التركية والسورية والعراقية. . . الأيدي العاملة المصرية والفلسطينية. . . الأسواق والثروة النفطية الخليجية مع الخبرة والذكاء و(الألمعية) الإسرائيلية لإنشاء الشرق الأوسط الجديد. . !

وهل الشرق الأوسط إلا تسمية أخرىٰ حداثية لـ (أرض الميعاد) وما حولها؟

لقد اعتبر بيريز أن أنهار المنطقة الرئيسية: (النيل، والفرات، والأردن، ودجلة) بحاجة إلىٰ مشروع (إقليمي) لتنظيمها وتحقيق الاستفادة منها، وكذلك الثروات الأخرىٰ بما فيها (السياحة)، سواء كانت سياحة دينية أو مدنية.

ولا شك أن إسرائيل الطامعة في الإشراف علىٰ تلك المشروعات الشمعونية الإقليمية كانت تتطلع إلىٰ عقد معاهدات صلح مع كل جيرانها العرب تتمكن خلالها من تحقيق مآربها في أن تصبح جزءاً من نسيج المنطقة، أو بالأحرىٰ تصبح المنطقة فريسة في براثن نسيجها العنكبوتي وساحةً لتحقيق أهدافها. وفي مقابل هذا... أو لتحقيق هذا؛ لا ضير علىٰ إسرائيل علىٰ حد تعبير بيريز - أن تترك للعرب (بعض) الأراضي مقابل سلام قد يعده البعض تنازلاً عن الحق التاريخي والديني في أرض إسرائيل، وهو من وجهة نظره قيام بـ(واجب) تاريخي تجاه مصلحة إسرائيل![1].

فما هو هذا الواجب؟ يقول: «إنها بذلك تكون قد أدت واجباً تاريخياً بحماية طابعها الخاص من الإفساد والتشويه» ويقصد طبعاً الوضع الناجم عن وجود الفلسطينيين بين الإسرائيليين ضمن كيان واحد؟ وبعد أن يتم (تطهير) الجسم الإسرائيلي من العناصر غير الإسرائيلية وتضع إسرائيل يدها علىٰ المواقع المهمة في الضفة الغربية المنزوعة السلاح، وتعقد الصلح مع الجيران، بعدها تدخل في علاقات أعمق مع الدول المحيطة، وعندما تحقق إسرائيل هذا المشروع المتعدد والمتداخل الحلقات؛ فإنها تكون قد وضعت رجلها حقاً - في رأي شمعون بيريز - علىٰ طريق (إسرائيل الكبرىٰ).

---

(١) كثيراً ما يُستعمل وصف (التاريخي) علىٰ ألسنة زعماء اليهود مرادفاً لـ(الديني) فالحق التاريخي هو حق ديني، والواجب التاريخي هو واجب ديني، لأن دينهم المحرف هو في الحقيقة (تاريخ).

ويتساءل بيريز: «ماذا ينفع إسرائيل في هذه المرحلة لو ضمت الأراضي الواسعة وخسرت بالمقابل يهوديتها وخصائصها؟ وماذا يضيرها لو أنها تخلت عن مساحات صغيرة من الأرض (وهي تحت سلطانها الفعلي) لقاء تحولها من كيان محاصر ومعزول إلىٰ قوة إقليمية عملاقة؟»

ويخلص بيريز إلىٰ تلخيص رؤية حزب العمل فيما يتعلق بـ(العمل) لصالح إسرائيل الكبرىٰ فيقول: «إن إسرائيل تواجه خياراً حاداً بين أن تكون (إسرائيل الكبرىٰ) اعتماداً علىٰ عدد العرب الذين تحكمهم، أو تكون (إسرائيل الكبرىٰ) اعتماداً علىٰ حجم واتساع السوق الواقعة تحت تصرفها».

ويهاجم بيريز مفهوم حزب الليكود القائم علىٰ اعتبار ضم الأراضي هدفاً في حد ذاته، فيقول: «إسرائيل الكبرىٰ بمفهوم ليكود ستضم الفلسطينيين والعرب، فيمثلون جسمها، وتظل حبلىٰ بالمشاكل والاضطرابات، وتبقىٰ عرضة للمجابهات المسلحة مع الجيران والتوتر في علاقاتها الاقتصادية المتقلبة، والانخفاض في عدد المهاجرين إليها».

إنه بهذا الكلام لا يتخلىٰ عن (إسرائيل الكبرىٰ) كهدف، ولكنه ينتقد أسلوباً ومفهوماً مغايراً في تحقيق هذا الهدف، إنه لا يريد حكم الفلسطينيين والعرب، ولكنه يريد التحكم فيهم والسيطرة عليهم. عبر (الشرق أوسطية) التي ستوضع ـ كما قال ـ تحت إمرة إسرائيل ورهن تصرفها باعتبارها الكيان الأكثر تطوراً.

فطريق حزب العمل إلىٰ (إسرائيل الكبرىٰ) يمر عبر الدبلوماسية واللباقة التي تستند إلىٰ التهديد الدائم بالرعب النووي الرابض في صحراء النقب! ولهذا فإن بيريز في آخر فترات توليه المسؤولية وزيراً للخارجية في وزارة رابين الهالك؛ كان لا يكف عن استشراف إمكانات تحقيق حلمه لحكم العرب عن طريق تقمص

شخصية (التاجر اليهودي الجشع) بدلاً من (اليهودي الإرهابي الدموي).

فكان يتنقل بين العواصم العربية داعياً للسلام، من الرباط إلى مسقط!

إن الفارق بين المفهومين في نهاية المطاف هو بين زعامة أكولة عجولة نهمة، تريد أن تأكل العرب بيديها وأسنانها وأرجلها أيضاً، وبين زعامة تتعالى في كبرياء أَنِفَةٍ فلا تحب أن تأكل العرب إلا بالشوكة والسكين!

هناك - إذن - (سباق محموم) بين اليهود واليهود، للوصول إلى غرض مشترك مقصود، بالحرب لا بأس، فحزب العمل (المسالم) مستعد لخوضها إذا كان ذلك ما تقتضيه المرحلة، وبالسلام أيضاً لا بأس، فحزب الليكود (المحارب) مستعد للاشتراك فيها إذا كان في السلام خدمة للمرحلة. ونحن لا ننسى أن رئيس الأركان في حرب عام ١٩٦٧م كان هو رمز السلام - في نظر العرب - (إسحاق رابين)، بينما تم التوقيع على اتفاقية كامب ديفيد (للسلام) في عهد الليكودي الإرهابي (مناحيم بيجن)، وجاء من الليكود أيضاً (شامير)، راوي الأساطير في مباحثات مدريد (للسلام)!

نعم... السلام، فالسلام - في مفهوم اليهود - هو مرحلة الإعداد لمزيد من الحروب. وإذا كان لا بد من سلام حقيقي فهو لليهود؛ فحسب قول مناحيم بيجن: (لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب، ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه بعد، حتى لو وقَّعنا معاهدات صلح»[(١)].

وتأمل - أيها القارئ - في تلك التوصية التي صدرت منذ أكثر من أربعة عقود عن أحد مؤتمرات اليهود تحت عنوان: (الحاخام «جوهاشيم برنر» يشرح وثائق

---

(١) كتاب (الثورة) لمناحيم بيجن (٢٣٥).

المخطط الأخير). . جاء فيها: «التخطيط المتفق عليه سهل في مظهره وفي تنفيذه، ولا يعرِّض من يعملون لتحقيقه إلىٰ أي نوع من الخطر، وكل ما في الأمر يتلخص في كتمان القصد من الدعوة لهذا المخطط حتىٰ لا يكتشفه أحد، ولقد أطلق علىٰ هذا المخطط اسم: (مخطط السلام). والعمل علىٰ تحقيقه لا يتطلب منا سوىٰ الإلحاح والمثابرة علىٰ الدعوة للمحافظة علىٰ السلام، والقصد منه ذو شقين:

أحدهما: الحصول علىٰ الوقت اللازم لنا ولحلفائنا لكي نتمكن من تسليح جيوشنا وتقوية أجهزتنا الحربية؛ لأننا في هذا الوقت لم نستكمل العدة لخوض حرب كبرىٰ تكفل لنا النصر.

وأما الشق الآخر: فهو وقف سباق التسلح السائد الآن لدىٰ الدول المعادية لنا ولحلفائنا، وبإرغام الدول علىٰ تدمير أسلحتها وتخفيض جيوشها[١]، وقتل الروح العسكرية في الأوساط الشعبية، ودفع الجماهير إلىٰ غير الجندية وتنفيرهم منها، بينما سنثابر نحن وحلفاؤنا علىٰ التسلح إلىٰ أبعد مدىٰ مستطاع.

ولكي نتوصل إلىٰ تحقيق هذه الأهداف، عليكم العمل دون هوادة علىٰ دعوة الناس إلىٰ مناصرة السلام، وتسفيه كل منهاج أو رأي يدعو إلىٰ التسلح، والهجوم علىٰ كل من يناصر الجندية، وإثارة الإنكار علىٰ كل مشروع دفاعي، وتحريض الناس علىٰ الامتناع عن الإسهام في الأغراض العسكرية، والتنديد بما ينفق في أمور الحرب[٢]. أيها الإخوة. . . ربما استغرب أحدكم انقلابنا المفاجئ

(١) لاحظ التوافق بين هذا الكلام، الصادر في الخمسينات وتطبيقاته في السبعينات والتسعينات في كل من مصر والعراق بلدي النيل والفرات أو (أرض الحِمىٰ)!

(٢) هذه الدعوة التي كانت كالهلوسة في الخمسينيات، صارت ـ بفعل الإعلام ـ هي (الواقعية) و (العقلانية) بدءاً من السبعينيات، وللأسف فإن الإعلام الذي خدم تلك الدعاوي أكثر هو الإعلام العربي، وليس الإعلام اليهودي!

وسأل عن الأسباب التي دفعتنا إلىٰ أن نكون دعاة سلم بعد أن كنا دعاة حروب وثورات، واعلموا إذن أن الأسباب التي حملتنا في الماضي علىٰ إشعال نار الثورة الفرنسية ثم الثورة الروسية، ولافتعال الحربين العالميتين، هي نفسها تدفعنا اليوم إلىٰ الدعوة إلىٰ السلام لأول مرة في التاريخ، وما هذه الأسباب بخافية عليكم، فهي ما تعرفونه من أهدافنا الخاصة التي يتطلب تحقيقها تجريد خصومنا من أسلحتهم ريثما نتمكن من التسلح والتأهب لجولاتنا القادمة.

وعندما نتيقن من نجاح مخططاتنا هذه؛ ستكون ساعة الصفر قد أزفت، فتزحف جيوشنا إلىٰ الميادين المعينة لها، وتقضي سريعاً علىٰ مقاومة أعدائنا التي ستكون حتماً هزيلة، ونزيل الدول المنهارة عن طريقنا، ثم نعلن للعالم انتصارنا، ونفرض سيادتنا تحت ظل دولتنا الموحدة وعلمها ذي النجمة المقدسة»(١).

ولقد تهافت العرب علىٰ هذا السلام المبيَّت بليل، تهافت الفراش علىٰ النور المنبعث من النار، وهرولت وفودهم في دهاليز وسراديب المفاوضات السرية والعلنية، لتقامر بمستقبل الأمة، وتجعله رهينة اتفاقات (رسمية) (دولية) ملزمة، لا تُلزم جيلنا فحسب، بل تُلزم وتُخضع أجيالاً قادمة..

عجباً لشأن ذلك المفاوض العربي (العلماني) وهو يسارع الخطا في طريق الظلمات.. ما أغفله وما أجهله وما أعرض قفاه وهو يطاوع اليهود ناقضي العهد وناكثي الوعود، ألم يسمع لقول الله عنهم ﴿**أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾ [البقرة: ١٠٠].

فإلىٰ متىٰ هذا الحِلْم الطويل يا بني إسماعيل، علىٰ ذاك الحُلم الكبير

(١) نشرة الصليب والعَلَم الدورية الصادرة عام ١٩٥٥م.

لبني إسرائيل. . ؟! وهل سنظل في الحلم حالمين حتىٰ نكون رعايا في (إسرائيل الكبرىٰ)؟!

لقد حقق (مخطط السلام) لليهود أهدافاً كبيرة خلال العقدين الماضيين، ولكن ذلك لم يمنعهم في الوقت ذاته من الدخول في الحروب أو استثمارها لتحقيق أهداف أخرىٰ لا يحققها السلام ولهذا فقد خاضوا الحرب الرابعة في لبنان واستثمروا حرب الخليج في التسعينات، دون أن يتعارض ذلك الصدام مع (مخطط السلام)!

إسرائيل الكبرى والقاعدة الجماهيرية:

ليست القوىٰ السياسية الكبرىٰ في (إسرائيل) هي المعنية فقط بذلك المشروع الإجرامي (إسرائيل الكبرىٰ)، ولكن هناك قوىً أخرىٰ أشد إخلاصاً للمشروع وإن كانت أخفىٰ صوتاً، وأخفت ضوءاً وهي القوىٰ الدينية، إنها جميعاً تلتقي علىٰ ذلك الهدف مع اختلاف في الوسائل أيضاً، يقول إيمانويل هيمان في كتابه (الأصولية اليهودية) «تضاعفت الحركة المتطرفة ـ في إسرائيل ـ وزادت راديكاليتها، وهي تدعو لإقامة (إسرائيل الكبرىٰ)، أي دولة الملك سليمان، وهي علىٰ استعداد لمحاربة اليهود المتفتحين علىٰ الحضارات الأخرىٰ أو الشعوب الأخرىٰ، وفي الماضي اغتالوا الكاهن الأكبر[١]، واليوم اغتالوا رئيس الوزراء»[٢]!

فالمتطرفون من دعاة (إسرائيل الكبرىٰ) هم إذن من اغتالوا إسحاق رابين رئيس الوزراء السابق، وكان ذلك بتسويغ من بعض الحاخامات الذين قرنوا بين

(١) يوناثان هو الكاهن الأكبر لدىٰ اليهود في العهد الروماني.
(٢) الأصولية اليهودية، ص ٤٨، إيمانويل هيمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الشريعة الكاملة والأرض الكاملة، وصدرت إدانة مبكرة لرابين بتسليم بعض أراضي (الوطن المقدس) تنفيذاً لبنود عمليات السلام، وتجرأ بعضهم وأعلن أن تخوينه واجب ديني ووجدوا من الأحكام في الشريعة اليهودية ما يؤيد قتله، وهو ما يطلق عليه (شريعة التتبع) وهو تشريع يفرض على من شاهد شخصاً يتتبع آخر يريد قتله، أن يتدخل لمنع الجريمة وإنقاذ الضحية ولو بقتل المعتدي، وبالتوسع في تفسير هذا الحكم التوراتي وصل بعض المتدينين إلى أن قتل رابين أصبح واجباً دينياً، لأنه لم يكن يتتبع شخصاً فقط، بل يتتبع الشعب اليهودي في نظرهم.

وكان ممن ساعد بكلماته على قتل رابين الحاخام يوناثان بلاس مدير معهد تعليم الحاخامات القومي، فقد قال: «إن رغبة حكومة إسرائيل في التخلي عن جزء من الأرض اليهودية أمر يؤسف له لأنها تتعارض مع الضرورات التوحيدية اليهودية المرتبطة دون تنازل بإعادة السيادة اليهودية على أرض الميعاد، وهذه الرؤية الدينية التي خانها رابين وبيريز باستخفاف من خلال رغبتهما في الوصول إلى التطبيع والاعتراف العالمي هي محاولة فاشلة وبائسة للهروب من الصراعات والالتزامات النابعة من القدر اليهودي الأوحد»[١].

إن الذي قتل رابين ليس شخصاً واحداً قام بمبادرة فردية، بل هو واحد من ضمن مجموع الجماعات الدينية المتعصبة للأرض (اليهودية) مثل تعصبها للشريعة اليهودية، ومن ضمن هذه الجماعات جماعة تطلق على نفسها اسم (السيكارين) أي حملة الخناجر، وهم يعتبرون أنفسهم امتداداً لجماعة يهودية قديمة لم يكن أفرادها يوجهون ضرباتهم إلى جنود الأعداء، بل كانوا يوجهونها إلى يهود مثلهم متهمين بالتفريط في تطبيق الشريعة الإلهية.

---

(١) الأصولية اليهودية، ص ١٤١.

وجماعة (السيكارين) تعُد (إسرائيل الكبرىٰ) من أولىٰ المقدسات التي ينبغي أن يرفعوا من أجلها خناجر الاغتيال، فكل من يفكر في التنازل عن جزء من أرض الميعاد لا بد أن يُعد له خنجر أو سيف أو . . رصاصة!

وإذا كان السعي لاستكمال (إسرائيل الكبرىٰ) هو الأمر الذي يحكي قصة الصراع العربي الإسرائيلي علىٰ مدىٰ الخمسين عاماً الماضية، بدءاً من منتصف القرن العشرين حتىٰ نهايته، فإن القرن القادم يستعد لجولات أخرىٰ يعد لها اليهود علىٰ الدرب نفسه .

إسرائيل الكبرى على درب التنفيذ (سياسياً):

كان صراع اليهود ضد العرب في نصف القرن الأخير، يمثل برنامجاً ذا مراحل علىٰ طريق إسرائيل الكبرىٰ، ويمكن للمتأمل في مسيرة ذلك الصراع من الناحية السياسية أن يستنتج ملامح هذا البرنامج أو المخطط الذي يقضي بأن يقطع اليهود شوطاً كبيراً علىٰ طريق إسرائيل الكبرىٰ في كل عقد من الزمان تقريباً، وقد لا حظ اللواء الركن (محمود شيت خطاب) توافقاً يشبه الصدف ـ وما هو بصدف ـ في تواريخ المراحل المهمة في طريق السير نحو تحقيق أطماع اليهود التوسعية منذ بداية عمل الصهيونية الحديث، وذلك علىٰ النحو التالي :

* في سنة ١٨٩٧م عُقد المؤتمر الصهيوني الأول ـ كما هو معلوم ـ حيث أقر المؤتمرون في مدينة بال بسويسرا، ما يمكن أن يعد دستوراً لتحقيق مشروع (الدولة اليهودية) الذي أعده هرتزل، وقد انبثق عن المؤتمر إنشاء المنظمات المتخصصة في السياسة والاقتصاد لتحويل هذا البرنامج النظري إلىٰ واقع تطبيقي .

* وفي سنة ١٩٠٧م، دخل المشروع الصهيوني حيز التنفيذ العملي ببدء

تهجير اليهود وفق برنامج منظم إلىٰ أرض فلسطين، حيث باشرت المنظمة القائمة علىٰ ذلك في الوقت نفسه تمويل بناء المستوطنات لاستيعاب اليهود القادمين، وليكون هذا الوجود اليهودي المكثف مبرراً للمطالبة بإعطائهم وطناً قومياً في فلسطين.

* في سنة ١٩١٧م[١] صدر الوعد المنتظر لليهود المهاجرين بإعطائهم هذا الوطن علىٰ لسان وزير خارجية بريطانيا (بلفور) مما جعل الباب ينفتح علىٰ مصراعيه للدعم السياسي للكيان اليهودي من أقوىٰ دولة في ذلك الوقت وهي بريطانيا.

* في سنة ١٩٢٧م، تم بالفعل - بمعاونة الاستعمار البريطاني الانتهاء من - تهيئة المساحة التي ستأخذ طابع الوطن في فلسطين، وقد أحكم اليهود السيطرة عليها بالشراء أو بالاغتصاب أو المصادرة خلال تعاون وثيق بين مكر اليهود وحقد الإنجليز.

* في عام ١٩٣٧م، بدأت المنظمة الصهيونية العالمية في تكوين نواة جيش من كل قادر علىٰ حمل السلاح من اليهود، شاباً كان أو فتاة رجلاً كان أو امرأة، وبدأ تكديس السلاح داخل أرض فلسطين استعداداً لصدام متوقع.

* في عام ١٩٤٧م، أصدرت الأمم المتحدة قراراً يقضي بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود، وكان هذا القرار سبباً مباشراً في الإعلان الرسمي عن قيام دولة (إسرائيل) مما تسبب بعد ذلك في وقوع الصدام المتوقع ونشوب الحرب عام ١٩٤٨م. التي انتهت بهزيمة الجيوش العربية أمام (عصابات) اليهود التي كانت تزيد علىٰ جيوش العرب مجتمعة بثلاثة أضعاف!.

---

(١) لاحظ أن الرقم (٧) رقم مقدس عند اليهود والسنة السابعة في كل عقد متميزة والجيل السابع دائماً متميز، والألف السابع في التاريخ هو آخر وأفضل أيام الدنيا السبعة!

* في سنة ١٩٥٧م، استغل اليهود نتائج حرب السويس والعدوان الثلاثي على مصر، وانفتحوا على العالم عبر خليج العقبة، وأصبحت (إسرائيل) تملك حق الملاحة في هذا الخليج بعد الاستيلاء على قرية (أم الرشراش المصرية) وتحويلها إلى اسم عبري قديم وهو (إيلة) أو إيلات[١].

* في سنة ١٩٦٧م، قضم اليهود قضمتهم الكبرى من الأرض العربية خارج الحدود الدولية لـ (إسرائيل)، فاستولت بالقوة المسلحة على سيناء كاملة وعلى الضفة الغربية من الأردن، وعلى قطاع غزة، وعلى هضبة الجولان السورية لتؤمن بذلك حدودها من جميع الأطراف عسكرياً، وتقايض بما لا تحتاجه منها سياسياً[٢].

* وفي سنة ١٩٧٧م، أبرم اليهود مع الرئيس المصري السابق - أنور السادات - اتفاقية (كامب ديفيد) لتحقق بهذا أكبر صدع في بنيان المواجهة العربية ولتنهي به عملياً ما يسمى بـ (التضامن العربي) ضد إسرائيل، ولتقضي بذلك على أية إمكانية لمواجهة عسكرية فاعلة من الجيوش العربية ضدها، حتى إن أنور السادات نفسه كان يردد مراراً: إن حرب أكتوبر ١٩٧٣م هي آخر الحروب ضد إسرائيل!

* في سنة ١٩٨٧م، أكملت إسرائيل مشروعها لتملُّك السلاح النووي الذي كانت قد بدأته في عام ١٩٥٢م، وبعد أن اكتمل المشروع تسربت أسراره علناً عن طريق الفني الإسرائيلي الرافض للخيار النووي (فعنونو)[٣] وبهذا فرض اليهود واقع الهيمنة والابتزاز السياسي والعسكري تحت ضغط الإرهاب النووي.

---

(١) يلاحظ أن (إيلات) أرض مصرية محتلة لايتكلم عنها أحد، ولا أعرف لماذا!

(٢) هذا الرصد إلى ذلك التاريخ هو ما لاحظه اللواء الركن محمود شيت خطاب في كتابه (أطماع إسرائيل التوسعية في البلاد العربية) وقد لا يكون التسلسل الزمني بهذه الدقة، ولكنه على أي حال، يشير إلى وقائع لا تنكر.

(٣) تم اختطاف فعنونو (فانونو) من إيطاليا، وما زال يعيش في سجون إسرائيل.

إسرائيل الكبرى على درب التنفيذ عسكرياً:

مثلما لوحظ أن اليهود كانوا يسيرون في برنامجهم الاستراتيجي السياسي طوال القرن الماضي وفق خطط عشرية تكتيكية، يكملون على رأس كل مرحلة منها قفزة كبيرة في الصعود إلى (أرض الميعاد) فكذلك لاحظ كثير من خبراء الاستراتيجية العسكرية، أن الجانب العسكري من ذلك التخطيط المرحلي، كان يقفز قفزة عسكرية كبيرة كل عقد من الزمان منذ قامت دولتهم.

ففي عقد الأربعينيات كانت حرب ١٩٤٨م، وفي عقد الخمسينيات كانت حرب ١٩٥٦م، وفي عقد الستينيات كانت حرب ١٩٦٧م، وفي عقد السبعينيات كانت حرب ١٩٧٣م[١]، وفي عقد الثمانينيات كانت حرب ١٩٨٢م.

أما في عقد التسعينيات، وقبيل أن يبدأ ذلك العقد، فقد توقع أكثر المراقبين أن تندلع الحرب السادسة، وازداد الترقب لتلك الحرب بعد أن أطلق صدام حسين تصريحاته وتهديداته النارية قائلاً: «سأحرق نصف إسرائيل»[٢]، وتزامن هذا مع قيام ضجة كبيرة حول تسليح العراق، وحول تصنيعه (المدفع العملاق) وتوقع كثيرون أن تفتعل (إسرائيل) أحداثاً لتدخل الحرب ضد جيش العراق الذي صوره الإعلام الدولي على أنه رابع أكبر قوة في العالم! وأنه أصبح على شفا امتلاك السلاح النووي!

وبينما كان المراقبون يتابعون السيناريوهات المحتملة لحرب تخوضها إسرائيل

---

(١) تستثنى حرب أكتوبر ١٩٧٣م من كونها حرباً انتصر فيها اليهود عسكرياً، وإن كانوا قد استفادوا منها لأبعد الحدود سياسياً بعد إجهاض النصر العسكري.

(٢) لعل صدام وهو يطلق هذا التهديد، كان متأثراً بما ينسب في التوراة إلى رجل يدعى (الآشوري) قيل إنه سيحارب (إسرائيل) في الأيام الأخيرة، وسيحتل نصفها!) انظر (تفسير حزقيال) لرشاد فكري، ص ٣٤١.

ضد العراق، أو يخوضها العراق ضد إسرائيل، إذا بالعالم يفاجأ بأخبار احتلال العراق للكويت! وكان الجنون، وكانت الكارثة، وكان تدمير العراق!!

لهذا فأنا اعتبر ـ من وجهة نظر شخصية ـ أن تلك الحرب التي افتعلت أحداثها لتدمير قوة العراق ولتسهيل السيطرة بعد ذلك على الفرات، هي الحرب السادسة التي جنى اليهود مكاسبها الضخمة دون أن يخسروا شيئاً، فدولة اليهود كانت هي الرابح الأكبر في تلك الحرب.

ولا أدري، كيف لم يعد خبراء الاستراتيجية تلك الحرب جولة سادسة في الصراع العربي الإسرائيلي رغم ظهور ذلك، ألأن اليهود لم يدخلوا الحرب بأنفسهم؟! إن هذا أوجب للحسرة وأدعى للفجيعة، إذ أن اليهود بهذه الحرب حققوا أكبر الأهداف بأقل الخسائر أو بلا خسائر على الإطلاق، بل بمكاسب أخرى حازوها عن طريق الهبات والمعونات بمليارات الدولارات مقابل أن يلتزموا (الحكمة) ولا يردوا على صواريخ صدام (الفارغة) التي ظن الناس أنها ملأى! ولا أظن استفادة اليهود من حرب العراق بأقل من استفادتهم من حرب لبنان التي تعد حرباً رابعة في رأي الجميع.

إن تدمير العراق ـ وبغض النظر عن الصورة التي جاءت به ـ كان هدفاً كبيراً من الأهداف الماثلة أمام أعين النخبة اليهودية المخططة والتي تهدف في النهاية إلى تقسيمه، وقد ساعدت حماقات القيادة البعثية على تحقيق ذلك الهدف بصورة لم يكن يحلم بها اليهود، فقد نشرت مجلة (كيفونيم) الإسرائيلية تقريراً للمنظمة الصهيونية العالمية بالقدس تحت عنوان (مخطط إسرائيل في الثمانينيات) طرحت خلاله تصورات وخيارات الدولة العبرية لما يمكن أن ينفذ في المناطق العربية المحيطة بـ (إسرائيل) وفي الفقرة الخاصة بالعراق قال التقرير: «أما العراق فهي

غنية بالبترول، وفريسة لصراعات داخلية، وسيكون تفكيكها أهم بالنسبة لنا من تفكيك سوريا[١] لأن العراق يمثل على الأجل القصير أخطر تهديد لإسرائيل، وقيام حرب سورية عراقية سيساعد على تحطيم العراق داخلياً[٢]، قبل أن يصبح قادراً على الانطلاق في نزاع كبير ضدنا، وكل نزاع داخلي عربي سيكون في صالحنا وسيساعد على تفكك العرب»[٣].

والآن، ونحن على مشارف انتهاء عقد التسعينيات بويلاته ونكباته، هل يقال إن هذا العقد انقضى دون حرب بين العرب وإسرائيل؟! أقول: إن تلك الجولة قد حصلت حُكماً بحرب الخليج في وجهها الآخر، وكانت تمثل الحرب السادسة، فهناك ستة حروب في ستة عقود، والسؤال الآن هل يشهد العقد السابع حرباً سابعة؟!

هل تقوم الحرب السابعة؟

باستقراء طبيعة العدو اليهودي من خلال تاريخه وعقائده، ومن خلال مخططات الساسة وتصريحات الزعامات الدينية، فربما تشهد السنوات القليلة القادمة وربما الشهور، نشوب حرب سابعة بين العرب وإسرائيل، ويرجح أن يفتعل اليهود حرب العقد القادم في بداياته وليس في وسطه أو آخره ويظل قيام حرب عربية إسرائيلية جديدة في السنوات الأولى للألفية القادمة احتمالاً وارداً

(١) لاحظ أن سوريا مستهدفة أيضاً بالتفكيك.

(٢) هذا السيناريو عن حرب بين سوريا والعراق لم يكن إلا تمويهاً، لأن سوريا ما كان لها أبداً أن تحطم العراق ولا كانت قادرة على ذلك.

(٣) نشرت هذا التقرير جريدة العرب تايمز (١١/ ١٢/ ١٩٩٢)، وجريدة العالم الإسلامي (٩/ ١٠/ ١٩٩٨م) وجريدة العرب العالمية (١٢/ ٢/ ١٩٩٨م).

وقوياً، ولكنه بطبيعة الحال ليس أمراً محتماً، لكن الذي يدعونا إلىٰ ترجيحه هو تصاعد الحُمىٰ الألفية بأعراضها المختلفة والتي ستشحن الأجواء بأوضاع غير طبيعية يمكن أن يكون للنصارىٰ دور أساسي فيها.

أما عودة البريق في الكلام عن (السلام) بمجيء (يهوذا) الجديد، فإن (باراك) هذا ليس إلا زعيماً (يهودياً) انتخبه الشعب (اليهودي)! وهل يُرجىٰ سلام مع من قال الله - تعالىٰ - فيهم: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] إن المتحدثين عن سلام (باراك) هم أول من يعلم أن اليهود لم ينتخبوه من أجل السلام، ولا كان السلام من الموضوعات الأساسية في برنامجه الانتخابي، إنما تبين لشعب اليهود أن (نتنياهو) سيعطل بصلفه وغبائه المسيرة التي يطمحون إليها. أما (باراك) فإن لاءاته التي صرح بها غداة فوزه في الانتخابات تدل علىٰ أنه لا يريد كما يقول (سلام الشجعان)، بل يريد سلام القطعان.

ولهذا يظل احتمال نشوب الحرب السابعة في ظل حكومة رجل العسكرية (باراك)[١] أمراً مرجحاً، ويعود هذا الترجيح إلىٰ سببين:

السبب الأول: أن أزمة المياه تضيق الخناق حول الكيان اليهودي الذي يتطلع بسعار ظامئ إلىٰ روافد جديدة من المياة لتروي جشعه المتزايد، خاصة وأن هناك تقارير عديدة تتوقع تعرض المنطقة لمزيد من موجات الجفاف التي تعرضت لها هذا العام ١٩٩٩م، وقد تكررت تحذيرات الخبراء من أن صراعات المستقبل ستكون بسبب المياه، والصراع العربي الإسرائيلي ليس بدعاً في ذلك، فالمياه ربما تكون ذريعة أساسية في أي حرب قادمة تخوضها دولة اليهود التي تجعل المياه بلونها الأزرق تجرىٰ علىٰ علمها الرسمي في خطين متوازيين يرمزان إلىٰ النيل والفرات.

(١) باراك تعني (البرق) بالعبرية!!

ودولة اليهود تخطط لاستقبال آلاف المهاجرين[١]، وقد وضعت خطة خمسية في بداية التسعينيات لاستقبال مليون ونصف مهاجر - أي حوالي ثلث عدد سكانها، ولما كان هؤلاء يحتاجون إلىٰ أراض للاستيطان ومياه للزراعة والاستهلاك، فإن الحاجة تتجدد في دولة اليهود إلىٰ المياه التي تحصل علىٰ ٩٠٪ منها من الجيران، بينما لا تترك لهم سوىٰ ١٠٪ فقط، هذا مع استخدام اليهود لكل الوسائل التقنية للاقتصاد في الماء، ويتوقع بعض الخبراء أن ينفد احتياطي (إسرائيل) من المياه في السنوات القليلة القادمة[٢] بسبب الجفاف الذي تتعرض له الأرض المحتلة وبسبب الانخفاض الذي يصيب بحيرة طبرية بين فترة وأخرىٰ، مما يؤثر أيضاً علىٰ القدرة علىٰ إنتاج الطاقة الكهربائية.

لهذا يتوقع أن يشن اليهود حرباً لتأمين المزيد من مصادر المياه، فالعدوان العسكري قد يكون هو الوسيلة الوحيدة للاستيلاء علىٰ منابع الأنهار العربية في سوريا ولبنان، وعلىٰ الرغم من عرض تركيا تزويد اليهود بالمياه، فقد تفضل (إسرائيل) الخيار الأول المتوافق مع مخططها الاستراتيجي بعيد المدىٰ[٣].

أما السبب الثاني: لترجيح قيام الجولة السابعة في بدايات الألفية الثالثة، فهو أن الصهيونيين الغلاة قد يعمدون إلىٰ تهييج المشاعر الدينية لدىٰ جماهير اليهود والنصارىٰ المؤيدين لإسرائيل في العالم ويدغدغون مشاعرهم لاستشراف وقوع الأحداث الكبرىٰ المرتبطة عقائدياً بحلول ألفية جديدة، فالألفية الميلادية الجديدة

(١) كانت آخر شحنةمن اليهود الأثيوبيين وهي التي تمت في شهر يونيو ١٩٩٩م.
(٢) انظر: كتاب (قراءة في فكر علماء الاستراتيجية) د. جمال عبد الهادي، دار الوفاء بالمنصورة، ص ٢٠، طبعة ١٩٩٩م.
(٣) توقع بعض الخبراء الاستراتيجيين نشوب الحرب (السادسة) لهذا الغرض في عقد التسعينيات، انظر كتاب (قراءة في فكر علماء الاستراتيجية)، ص ٢٠.

تعني عند اليهود بداية الاقتراب من اليوم السابع والأخير في التاريخ[١]، وهو عصر مليء بالدلالات الدينية والأخروية التي ستتوج في معتقدهم بمقدم آخر أنبياء اليهود وهو مسيحهم المنتظر منذ ألفي عام.

والألفية الجديدة توافق عند النصارىٰ بداية الألف الثالث الميلادي الذي تتوقع طوائف منهم أن يعود المسيح (عيسىٰ بن مريم ـ عليه السلام ـ) في بداياته إلىٰ الأرض، ليحكمها مدة ألف عام من القدس! ولا ينبغي أن ننسىٰ أن النصارىٰ الإنجيليين، سيكونون أسعد الناس بحرب تستعرفي الشرق الأوسط في بداية الألفية الجديدة، لأنها ستكون علامة حقيقية عندهم، علىٰ أن الأمر قد أزف.

وقد يتذرع اليهود أيضاً بأن بعض (جيرانهم) من العرب قد نجحوا في تملك أسلحة الدمار الشامل، وهنا لن يستأذنوا أحداً في اتخاذ الإجراء المناسب.

أما سعي اليهود القديم والجديد في هدم المسجد الأقصىٰ وبناء الهيكل الثالث فهو يمثل علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالحرب القادمة (السابعة)، حيث يمكنهم ذلك ـ في ظل الغيبوبة العربية الطويلة ـ أن يحققوا هدفين كبيرين جديدين وهما قطع شوط آخر علىٰ طريق (إسرائيل الكبرىٰ) والشروع في تنفيذ الحلم العتيق بإعادة بناء الهيكل الثالث، يقول أ.ح. د. فوزي محمد طايل أستاذ الاستراتيجية الشاملة بأكاديمية ناصر بمصر: «إن المبرر الوحيد لقيام دولة إسرائيل ولدعوة المهاجرين إلىٰ الهجرة إليها، بل والمبرر الوحيد للفكرة الصهيونية ذاتها، هو إقامة إسرائيل الكبرىٰ من النيل إلىٰ الفرات، وبناء الهيكل الذي لا يتصورون

(١) التاريخ علىٰ ما يحسبه اليهود سبعة أيام، كل يوم ألف عام، وهذا عمر الدنيا، وقد مرَّ من هذه السبعة ستة أيام إلا قليلاً، وسوف تكون كل الأحداث الكبرىٰ ـ حسب معتقدهم ـ في (الأيام الأخيرة) خلال ما تبقىٰ قبل بداية اليوم السابع.

إقامته إلا على أنقاض المسجد الأقصى، وهذه أمور تستدعي بالضرورة استخدام القوة المسلحة كلما سنحت الفرصة»[١].

فهل تسنح الفرصة لمجرمي العصر وكل العصور لكي يفتتحوا الألفية الجديدة بأحداث باكية دامية في الأرض المقدسة وما حولها؟!

وهل يمكن لهم أن ينطلقوا من أصغر الدوائر وأقدسها (ساحة الأقصى) لعمل خطير يخدم مشروع الدائرة الأكبر (إسرائيل الكبرى)؟

إنهم سواء فعلوا ذلك أو عدلوا عنه، فإن للألفية الثالثة مع المسجد الأقصى شأناً آخر، لعلنا نطلع على أهم جوانبه في الفصل التالي:

(١) قراءة في فكر علماء الاستراتيجية، ص ١٩. وهذه العبارة من المؤلف (رحمه الله) على وجازتها تحتاج لمؤلف مستقل لشرحها، وأرجو أن يكون هذا الكتاب شرحاً لبعضها.